

١ - I

يمكن الافادة من تحليل محمد عبد المطلب لمادة مصطلح التناص معجميا ، حيث يرى أن « المادة لها صلاحية التعامل معها كمصطلح له جذوره اللغوية ، وإن لم تتوافر له جذور اصطلاحية . والملاحظ أنه لم يكن هناك اتفاق بين رواد الحداثة حول شفرتهم النقدية أو التفسيرية ، فالبعض يرشح مصطلح التناص والبعض يفضل التناسية أو النصوصية ، والبعض يميل الى تداخل النصوص ، لكن بالرغم من ذلك يظل أولها أكثرها شيوعا وانتشارا » (٢) . واني لأفضل أن أستخدم مصطلح التناص بسبب هذا الشيوع ، ولمحاولة توحيد المصطلحات في الساحة النقدية ، اضافة الى أنني أفيد في هذا البحث من الفعل « تداخل » لخلق بقص المصطلحات ، فأفضل أن أحتفظ لهذا الوصف بصفاته وعدم تكراره . أما مصطلح « التفاعل النصي » الذي يستخدم أحيانا مرادفا للتناص فيمكن الاحتفاظ به - اتفاقا مع يقطين - لكل أشكال التداخل بما فيها البعد السوسيو - نصي (٣) .

لم أعتد على المصطلحات العربية النقدية القديمة المتصلة بعمليات التداخل النصي لأسباب ، منها أن بعض هذه المصطلحات لا يهتم بعملية التداخل ذاتها ، وإنما يولى اهتمامه للقيمة النوعية للنص الغائب (الأصل) ، فيكون هناك تمايز بين الاقتباس والتلميح والتضمن تبعاً لكونه - أى النص الغائب - قرآنا أو فقها أو أثرا أو حكمة أو شعرا . ولكن هذا لا ينفي وجود بعض المصطلحات الموفقة مثل السليخ ، فهو يهتم بالعملية التداخلية تماما . ثم ان هناك اختلافات شتى في تحديد المصطلحات وتبينها لدى القدماء . كما أن بعض هذه المصطلحات يشغل نفسه كثيرا بما يوجد في النص الحاضر من قيم الحسّن والملاحة واللفظ والخلابة . . . الخ ومنها ما يكون فضفاضا مثل الاحتذاء . هذا بالاضافة الى أن بعضها - مثل العقد ، والحل - يقوم على مفهوم التمايز بين النثر والشعر تبعاً للإيقاع أساسا . ومن ناحية أخرى فإن أغلب النقد العربي القديم يدخل التداخلات النصية في دائرة السرقات الأدبية ، وهذا ما يجعل تحديد التنوعات خاضعا لمفاهيم مثل السرقة والغصب والاشارة والاختلاس . هذا كله يعني أن تلك المفاهيم تنتمي الى رؤية ونظام يختلفان كثيرا عما تنتمي اليه هذه القراءة (٤) .

التنصص في رأيي عملية تنتمي الى طبيعة كل من اللغة والكلام وطبيعة العلاقة الجدلية بينهما . وليس البحث عن التداخلات النصية عملية